القـــدس فـــي حـــرب ١٩٤٨م

د. هيا عبد المحسن محمد البابطين (*)

مقدمـــــــة

تعد مدينة القدس من أهم المدن في العالم، ولها منزلة خاصة في التاريخ، فهي من أقدم مدن العالم، واستهدفت من قبل معظم القادة والحكام .

وهي تتألف في العصر الحديث من قسمين: القدس القديمة، والقدس الحديثة، أما القدس القديمة فهي التي تقع على جبل موريا، ويحيط بها سور قديم من جهاتها الأربع، وفيها كل المقدسات الإسلامية والمسيحية، كالمسجد الأقصى، وقبة الصخرة، وكنيسة القيامة، وفي الجهة الغربية من الحرم القدس يقع حائط البراق[١]، وفي الجهة الشمالية مقبرة مأمن الله ، ويروى أن فيها قبور سبعمائة شهيد استشهدوا في الحروب الصليبية[٢].

أما القدس الجديدة فتقع خارج السور الكبير القديم، وهي تتميز بالعمران الحديث، والأحياء الجديدة، وفيها مسجد الصحابي الجليل سلمان الفارسي، ومسجد رابعة العدوية، واحتلها اليهود سنة ١٩٤٨م، وأكملوا احتلالها سنة ١٩٦٧م .

وكان اليهود يحلمون بالسيطرة على فلسطين عامة، والقدس بصفة خاصة، منذ أن طردهم منها الملك البابلي، نيوخذ نصر، وشتتهم في أماكن عديدة فيما يعرف بالأسر البابلي . وتناقلت هذه الأطماع أجيال اليهود، حتى ظهرت بصورة واضحة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، على يد زعيمهم هرتزل، الذي طلب من السلطان

(*) أستاذ مشارك بقسم التاريخ والحضارة بكلية الآداب جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن

(١) يسمى بالبراق لأن الرسول ﷺ عندما أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ربط الدابة التي حملته في رحلته عنده، وكانت تسمى البراق، ويطلق عليه اليهود حائط المبكى لأنهم يبكون عنده مجدهم الضائع، أو حائط هيكل سليمان الذي تم تدميره كما يزعمون، ويريدون إعادة بنائه.

(٢) حول اليهود هذه المقبرة إلى حديقة بعد تسوية قبورها.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العثماني عبد الحميد الثاني سنة ١٨٩٦م ، الحصول على مستعمرة بالقرب من القدس، مقابل دعم مادي كبير للدولة العثمانية، ولكن السلطان رفض عرضه(٣).

ولم ييأس اليهود فقاموا بمحاولة أخرى سنة ١٩٠٢م، وأرسلوا وفداً لمقابلة السلطان عبد الحميد، ولكنه رفض مقابلتهم، فقدموا عرضاً لرئيس الوزراء تحسين باشا يتضمن تعهد اليهود بسداد ديون الدولة العثمانية، وتقديم قرض قيمته ٣٥ مليون ليرة ذهبية لإنعاش خزينة الدولة، مقابل السماح لليهود بإنشاء مستعمرة ينزل فيها أبناء ديانتهم، في القدس الشريف أثناء حضورهم للزيارة ، وأن تكون الزيارة مباحة في أي يوم من أيام السنة .

ولكن السلطان رفض عرضهم مرة أخرى وقال لتحسين باشا : مرهم فليخرجوا ولا يحاولوا مقابلتي بعدها، أو : الدخول إلى هذا المكان أبداً . ويبدو أن السلطان أدرك أن هذا المطلب لا يتناسب مع الثمن الضخم الذي عرضه اليهود، وأيقن أن هؤلاء يريدون الحصول على موطن قدم في بداية الأمر ليتطلعوا بعد ذلك لاحتلال القدس وفلسطين كلها.

وقد كتب هرتزل عن هذا الموقف للسلطان في مذكراته يقول: (إن السلطان رد كالتالي: انصحوا الدكتور هرتزل بألا يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع، إني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض، فهي ليست ملك يميني، بل ملك شعبي، لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه، فليحتفظ اليهود بملايينهم، وإذا حرقت إمبراطوريتي يوماً؛ فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن)(٤).

وبالفعل أدت المؤامرات الصهيونية والاستعمارية إلى خلع السلطان عبدالحميد، بل وإسقاط الخلافة الإسلامية برمتها .

وبعد فرض الانتداب البريطاني على فلسطين سنة ١٩٢٠م ، تدفقت جموع كبيرة من اليهود إلى مدينة القدس، وساعدتهم قوات الاحتلال في ذلك عندما أمرت بمنع البناء في الحي الشرقي العربي، وشجعت البناء في الأحياء اليهودية، حتى بلغ عدد اليهود في القدس سنة ١٩٤٨م مائتي ألف نسمة تقريباً (٥).

---

(٣) عبد الحميد الثاني(السلطان) مذكرات السلطان عبد الحميد، ترجمة : محمد حرب عبد الحميد، دار الأنصار، القاهرة – ١٩٧٨م، ص٦٥,٢

(٤) مذكرات هرتزل (شبكة المعلومات الدولية – الإنترنت).

(٥) إسماعيل أحمد ياغي، الجذور التاريخية للقضية الفلسطينية – دار المريخ ، القاهرة، بدون تاريخ، ص٣٦– ٣٧.

وبدأ نفوذ اليهود يتزايد تحت ظل الاحتلال البريطاني وبدعم منه، وبدأوا الاحتكاك بالعرب لإثبات قوتهم في القدس، كما حدث سنة ١٩٢٩م، فيما يعرف بأحداث ثورة البراق، عندما قامت منظمة بيثار الصهيونية بمظاهرة في القدس، في ذكرى تدمير هيكل سليمان – كما يزعمون – يوم ١٤ أغسطس، ووصلوا إلى حائط البراق الذي يعرف عند اليهود بحائط المبكى، ووقعت اشتباكات بين العرب واليهود سقط فيها كثير من القتلى والجرحى بين الطرفين، وتدخل الجيش البريطاني مع اليهود ضد العرب، وألقوا القبض على كثير من العرب وقلة من اليهود، وقدموا للمحاكمة التي حكمت بإعدام ٢٥ عربي ويهودي واحد .

وأمام ازدياد الأطماع الصهيونية، في فلسطين بصفة عامة والقدس بصفة خاصة، قامت الثورة الفلسطينية الكبرى سنة ١٩٣٦م، فاضطرت بريطانيا لإرسال لجنة تحقيق تعرف بلجنة بيل الملكية سنة ١٩٣٧م، أصدرت بعد دراسة، الوضع ما يعرف بمشروع تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية، بينما تبقى منطقة القدس تحت سيطرة الانتداب البريطاني (٦).

وقد رفض العرب قرار لجنة التقسيم بينما وافق عليه اليهود، لأنه يمنحهم موضع قدم طالما حلموا به منذ ظهور الحركة الصهيونية .

وبعد عدة سنوات قامت الحرب العالمية الثانية، ودخلت الولايات المتحدة طرفا جديدا مساند لليهود في أطماعه بالقدس وفلسطين، وازدادت الهجرة اليهودية بدعم من أمريكا وبضغط منها على سلطات الانتداب البريطاني (٧).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ورأت بريطانيا بعد الحرب أن تعرض القضية على الأمم المتحدة، وخاصة بعد أن أطمأنت إلى لقوة موقف اليهود، بل إن اليهود أنفسهم لم يعد لديهم رغبة في بقاء الانتداب البريطاني بعد أن أدى دوره في مساندتهم، وقاموا بالعديد من الأعمال

---

(٦) أكرم محمد عدوان، مشروع تقسيم فلسطين في تقرير لجنة بيل الملكية البريطانية سنة ١٩٣٧م، بحث منشور بمجلة الجامعة الإسلامية بغزة – المجلد العاشر – العدد الأول سنة ٢٠٠٢م، ص٢١، د. حسين شريف، المفهوم السياسي والاجتماعي لليهود عبر التاريخ، ط١، ص٤٤٠.

(٧) د. سعد بدير الحلواني، العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن ١٩م، ط٢ – القاهرة ١٩٩٥م، ص ص١٠٤ – ١٠٥.

الإرهابية ضده، مثل تفجير منظمة الأرجون الصهيونية [٨] فندق الملك داود بالقدس، وكان مركزاً للحكومة البريطانية في فلسطين سنة ١٩٤٦م. وإزاء هذه الأحداث قررت بريطانيا عرض مشكلة فلسطين على الأمم المتحدة التي أصدرت، بعد مشاورات في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧م، ما يعرف بالقرار ١٨١ أو مشروع تقسيم فلسطين إلى دولتين : دولة يهودية تشمل نحو ٥٥% من أرض فلسطين، ودولة عربية على نحو ٤٠%، بينما تخضع مدينة القدس لإدارة دولية نظراً لأهميتها [٩]، وإنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، وجلاء القوات البريطانية تدريجياً حتى أول أغسطس سنة ١٩٤٨م [١٠].

وقد رفض العرب قرار التقسيم، بينما فرح به اليهود، وعبروا عن فرحتهم بالرقص في الشوارع مبتهجين، وبدأت بعده حرب العصابات بين الطرفين، وكان للقدس النصيب الأوفر منها لطمع اليهود في السيطرة عليها، وتمسك العرب بالاحتفاظ بها .

الصراع العربي – الصهيوني في القدس منذ قرار التقسيم حتى حرب ٤٨ :

قبيل حرب ٤٨ بدأ الطرفان العربي واليهودي في حشد كافة قواهم للسيطرة على البلاد، أو على أكبر قدر ممكن منها، وكانت القوة العربية تتكون من جيش الجهاد المقدس الذي يضم المجاهدين من عرب فلسطين، وجيش الإنقاذ العربي المكون من متطوعين من البلاد العربية، وكان تسليح العرب – بدائياً – بينما تتكون القوة اليهودية من عدة منظمات مسلحة تسليحا حديثا، أهمها منظمة الهاجاناة، ومنظمة الأرجون، وقوة شتيرن، وأعدادهم تتزايد باستمرار ، بانضمام المتطوعين إليهم من البلاد الأوربية وأمريكا[١١].

وكان رفض العرب لقرار التقسيم يعني ضمناً أنهم سيستخدمون القوة لمنع تنفيذه، لذلك بدأت مواجهة مسلحة، بين الطرفين من أول ديسمبر ١٩٤٧م، حتى الرابع عشر من مايو ١٩٤٨م، وهي ما يعرف فترة الحرب غير المعلنة [١٢].

---

(٨) كان زعيم هذه المنظمة حينذاك والذي أعطى الأوامر لهم مناحم بيجين الذي أصبح رئيس وزراء إسرائيل فيما بعد.

(٩) د. حسين شريف – المفهوم السياسي، ج١، ص٦٢٦.

(١٠) عبدالرحمن الرافعي – في أعقاب الثورة المصرية، ج٣ ص٢٦٠.

(١١) د. إبراهيم شكيب – حرب فلسطين ١٩٤٨م – رؤية مصرية، ص٧١.

(١٢) حسن البدري، الحرب في أرض السلام، ص١٧٥.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان هدف العرب من هذه الحرب الحفاظ على عروبة فلسطين، بينما كان هدف اليهود هو سرعة السيطرة على الرقعة المخصصة لليهود في قرار التقسيم، وتفريغ فلسطين من أكبر عدد من العرب. وسوف نقتصر في حديثنا عن العمليات التي دارت في القدس بين الطرفين وأهمها : ما قام به اليهود في ٢٧ إبريل سنة ١٩٤٨م فيما يعرف بعملية جيبوس لعزل القدس، وذلك بتدمير حلقة لقرى العربية المحيطة بها، والسيطرة على طريق رام الله – القدس وطريق أريحا– القدس، وطريق بيت لحم – القدس، ولكن العرب تصدوا لليهود، وهزموهم.

وفي ١٤ مايو سنة ١٩٤٨م قامت قوة يهودية باحتلال منازل عربية في القدس الجديدة، وطرد سكانها منها فيما يعرف بعملية بتشفورك، وفي نفس اليوم كانت هناك قوة يهودية أخرى تقوم بمحاولة لاحتلال القدس القديمة، فيما يعرف بعملية شيفيفون ولكنها هزمت، وتصدت القوات العربية لها [١٣].

وكان سكان القدس قد انخفضت روحهم المعنوية بشكل كبير، خلال شهري إبريل ومايو سنة ١٩٤٨م، بعد وقوع مذبحة دير ياسين في التاسع من إبريل سنة ١٩٤٨م، وهي قرية من ضواحي القدس قامت منظمتا الأرجون وشتيرن اليهوديتان بالهجوم عليها، وذبح جميع سكانها وعددهم ٢٥٤ رجلاً وامرأة وطفلاً، وألقوا بجثثهم في بئر القرية [١٤]، وذلك لبث الرعب والفزع في نفوس العرب، مما يجعل الكثير منهم يهجر قراه ومدنه، دونما تعب من اليهود [١٥].

ويعبر عن ذلك مناحم بيجن زعيم منظمة الأرجون التي نفذت المذبحة بقوله: " كنا في القدس وغيرها أول من انتقل من الدفاع إلى الهجوم، وبدأ العرب يفرون خائفين ... وراح العرب يفرون مذعورين : دير ياسين .. دير ياسين " [١٦].

وقد أصدر مجلس الأمن في ١٧ أبريل سنة ١٩٤٨م قراراً يدعو فيه الطرفين إلى وقف أعمال العنف والنشاط العسكري، كما توصلت الهيئة العربية العليا والوكالة اليهودية إلى اتفاق بوقف القتال داخل مدينة القدس، إلا أن شروطه لم تحدد، كما أن السلطة أو القوة التي تشرف على تنفيذه لم يتفق عليها، ولذلك لم يلتزم به اليهود كعادتهم وأصدرت الأمانة العامة للجامعة العربية بياناً، في ١٩٤٨/٤/٢٨م، أعلنت فيه حرص العرب على حماية الأماكن المقدسة داخل أسوار مدينة القدس القديمة،

---

(١٣) د. إبراهيم شكيب : حرب فلسطين، ص١٠١.

(١٤) د. حسين شريف، المفهوم السياسي، ج١ ص٦٣٢.

(١٥) عبدالله التل، مذكراته، كارثة فلسطين، ص٢٢.

(١٦) د. إبراهيم شكيب : وحرب فلسطين، ص١٠٢.

وموافقتهم على وقف القتال داخل المدينة، وعدم الهجوم عليها من الخارج، أو منها إلى الخارج. كما أعلنت الأمانة العامة استعدادها للمساهمة في نفقات القوة التي ستتكون من رجال الدين لتنفيذ شروط الهدنة (١٧).

كما قررت الأمم المتحدة تشكيل لجنة لتنظيم مستقبل القدس، وطريقة الحكم فيها حسب دستور تضعه هذه اللجنة، وقد نشرت هذه اللجنة مسودة الدستور الذي وضعته لمنطقة القدس، وهو مؤلف من عشرة بنود، قدمته إلى اللجنة العاملة في مجلس الوصاية الدولي لدراسته، وأهم تلك البنود :

١- يضمن الدستور سلامة أراضي مدينة القدس وتبلغ مجلس الأمن عن أي اعتداء يقع فيها.
٢- تجريد منطقة القدس من السلاح وجعلها ذات صبغة عسكرية (١٨).
٣- انتخاب حاكم للمنطقة على أن تكون مدة خدمته ثلاث سنوات، وأن لا يكون من العرب أو اليهود .
٤- يمنح الحاكم سلطات واسعة ولا يكون خاضعاً إلا لمجلس الوصاية الدولي.
٥- يمنح هذا الحاكم سلطات حماية الأماكن المقدسة في فلسطين .
٦- تأليف مجلس تشريعي ينتخبه سكان المدينة، والمنتخبون يكونون ممن تزيد أعمارهم عن الخامسة والعشرين .
٧- يتألف هذا المجلس من ٤٠ عضواً ينتخب السكان العرب منهم ١٨ عضواً، وينتخب اليهود مثلهم، ويضاف إلى هؤلاء أربعة آخرين من سكان المدينة.
٨- السماح لرعايا الطرفين(العرب واليهود) بدخول المنطقة دون عائق، على أن يتولى الحاكم مراقبة الهجرة إلى المدينة (١٩).

الصراع العربي اليهودي حول القدس في حرب ١٩٤٨م :

ما أن أعلنت بريطانيا انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، في ١٥ مايو ١٩٤٨م، حتى أعلن اليهود في نفس اليوم قيام دولة إسرائيل، وكانت سلطات الاحتلال البريطاني قد مكنتهم من السيطرة على القواعد والموانى والأماكن الهامة التي تساعد على قيام الدولة. وشهدت القدس صدور بيان، في منتصف ليلة ١٥ مايو سنة

---

(١٧) د. إبراهيم شكيب : وحرب فلسطين، ص١٢٠.

(١٨) عبدالوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م، ص٤٨.

(١٩) د. وائل عبيد، تاريخ العرب الحديث.

١٩٤٨م، أصدره هو الصهيوني ماير هاي عوزيل، رئيس حاخامية الأراضي المقدسة ومقره القدس [٢٠]، إلى اليهود في الشرق مبينا لهم فيه أنهم قد حققوا، بعون الله، مثلهم الأعلى الذي عمل من أجله جميع الصهيونيين وما زلوا منذ ثلاثة قرون، ألا وهو إنشاء دولة إسرائيل التي اعترفت بها الدول في أرض فلسطين المقدسة .... [٢١].

وكان القادة والرؤساء العرب قد قرروا، في اجتماعهم بعمان بالأردن في ٢٩ إبريل سنة ١٩٤٨م، دخول الجيوش العربية الحرب في فلسطين [٢٢]، وأوصوا بتعيين الملك عبد الله بن الحسين، ملك الأردن، قائداً أعلى للجيوش العربية، وأن يعين اللواء الركن نور الدين محمود، من العراق، في منصب القائد العام التنفيذي للجيوش العربية.

وفي ١٠ مايو سنة ١٩٤٨م تم عقد اجتماع في القصر الجمهوري بدمشق، بحضور شكوى القوتلي الرئيس السوري، وعدد من القادة العسكريين من الأردن وسوريا ولبنان والعراق، لوضع خطة نهائية للعمليات في فلسطين، وتعيين هدف لكل جيش دولة عربية يصل إليه في وقت محدد [٢٣].

---

(٢٠) علي أبو الحسن، دور بريطانيا في تهويد فلسطين، دار الوحدة العربية،بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠١م، ص ص٣٨٨ – ٤٠٥.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢١) د. إبراهيم شكيب، حرب فلسطين، ص١٢٠.

(٢٢) عبد الرحمن الرافعي، في أعقاب الثورة المصرية، ج٣ ص٢٦٠، ٢٦١.

(٢٣) كانت خطة الجيوش العربية تتضمن ما يلي:

أ – الجيش اللبناني يحتشد في منطقة رأس الناقورة على حدود لبنان فلسطين، ويتقدم منها على الساحل في اتجاه نهارية شمال عكا، ويدمر المستعمرات اليهودية الموجودة في هذه المنطقة.

ب – الجيش السوري يحتشد في منطقة فيق غرب الجولان، ويتقدم لاحتلال صفد والناصرة بعد تصفية ما يقابله من مستعمرات يهودية.

ج – الجيش العراقي يتقدم إلى جسر المجامع على نهر الأردن وبعد ذلك إلى بيسان والعفولة والناصرة.

د – الجيش الأردني يتوجه قسم منه نحو بيسان والعقولة لمساندة الجيش العراقي وقسم آخر يتقدم من قلب فلسطين بعد السيطرة على القدس إلى حنين.

وكانت السيطرة على القدس جميعها من واجبات الجيش الأردني، ثم يتقدم بعد ذلك لمساندة الجيوش العربية الأخرى .

وتم وضع اللمسات الأخيرة لخطة الحرب يوم الخميس ١٣ مايو سنة ١٩٤٨م، في قصر رغدان بالأردن، بحضور الملك عبد الله بن الحسين، ومندوبى الجيوش العربية المشاركة في الحرب (مصر والأردن ولبنان والعراق وسورية والسعودية)، كما حضره أعضاء اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية، برئاسة عبد الرحمن عزام باشا، الأمين العام للجامعة .

وقد أبدت هيئة المستشارين العسكريين المصريين بعض الملاحظات على خطة الحرب التي سبق وضعها في الاجتماع السابق، وأهمها : استحالة تحقيق أهداف كل جيش من الجيوش العربية على حدة، لضآلة القوات وعدم، الاستعداد، واقترحت تجميع الجيوش العربية على هدف رئيس واحد، وذلك بأن تتقدم الجيوش الأردنية والسورية والعراقية نحو القدس، والسيطرة عليها وما حولها من المناطق نظراً لأهميتها، بدلاً من التركيز على أهداف ثانوية لا أهمية لها على مركز اليهود العام في البلاد. ولكن القيادة السياسية العليا لم تأخذ باقتراح الوفد المصري، وأصرت على تنفيذ الخطة السابقة [٢٤].

وفي المقابل كانت القوات اليهودية، الموجودة في القدس والمحيطة بها، تشمل اللواء السادس من الهاجاناة بقيادة دافيد شالتيل، وحول القدس يوجد اللواء الحادي عشر لبالماخ بقيادة يوسف تابنكين، وكذلك لواء الهاجاناة السابع مدرع بقيادة شالوم شامير.

ولعل وجود ثلاثة ألوية يهودية في القدس وحولها؛ يؤكد مدى تركيز اليهود على احتلال القدس لأهميتها، ولأنها بمثابة قلب فلسطين، ويسهل لهم منها السيطرة على مناطق عديدة في فلسطين، بينما لم تعطِ القيادة العربية نفس الاهتمام بالقدس، بل ورفضت المقترح المصري الذي كان يواجه مخطط اليهود، ويتصدى لهم .

وكان جلوب باشا (إنجليزي الجنسية)، القائد العام للجيش الأردني، يرى عدم دخول الجيش العربي القدس لوجود هدنة بين العرب واليهود في القدس حينذاك (والملتزم بها العرب فقط)، واحتمال جعلها منطقة دولية، هذا في الوقت الذي يحشد

هـ - الجيش المصري يتقدم من حدود مصر في رفح إلى الشمال نحو تل أبيب، وتصفية جميع المستعمرات اليهودية التي في طريقه، د. إبراهيم شكري، ص١٥٩، وانظر إسماعيل ياغي، الجذور التاريخية، ص٨٩.

(٢٤) د. إبراهيم شكري، ص١٦٤.

اليهود قواتهم فيها – كما ذكرنا –.

وقد أسفر إعلان اليهود عن قيام دولة إسرائيل، يوم ١٥ مايو، ثم إعلان الحرب بين إسرائيل والدول العربية المجاورة، عن دخول الجيوش العربية إلى فلسطين، وما يهمنا هو منطقة القدس التي كانت ضمن هدف الجيش الأردني [٢٥].

وقد عبرت ثلاثة ألوية تابعة للجيش الأردني نهر الأردن باتجاه القدس، للدفاع عنها وطرد القوات اليهودية التي تسعى لاحتلالها، ويقدر عددها بحوالي خمسة آلاف مقاتل، حسبما ورد في أغلب التقريرات .

في اليوم التالي للحرب، وهو يوم ١٦ مايو، وصلت وحدات من الجيش الأردني إلى ضواحي القدس الشمالية، وبدأت خوض المعارك ضد اليهود .

وقد تمكن اليهود، تحت شعار الهدنة المعقودة مع العرب في القدس، من احتلال مناطق عربية عديدة في القدس في : يومي ١٥، ١٦ مايو، وأهمها : معسكر النبى – معسكر العلمين – دير ألجاطور – باب النبي داوود – المسكوبية – المستشفى الإيطالي – نوتردام – المصرارة – باب العمود – سعد وسعيد – الشيخ جراح، ولم يبق للعرب من أحياء خارج سور القدس إلا باب الساهرة ووادي الجوز .

وكان العرب كلما احتجوا، للجنة الهدنة والصليب الأحمر، على خرق اليهود الهدنة أجاب اليهود بأن الجماعات اليهودية المنشقة هي المسئولة عن ذلك ولا حول لهم في منعها [٢٦].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وساءت حالة العرب في القدس القديمة، لأن اليهود لم يكتفوا بما احتلوه من مواقع استراتيجية، بل أخذوا يهاجمون الأبواب الرئيسية للقدس القديمة، محاولين اقتحام المدينة القديمة، التي احتشد فيها أكثر من ٦٠ ألف عربي، نزح أكثرهم من الأحياء العربية في القدس الجديدة، وكان العرب في القدس يتوقعون دخول اليهود في أي وقت للفتك بهم، وتدمير المقدسات الإسلامية والمسيحية، إلا أن بطولة جنود الإنقاذ والجهاد المقدس وشرطة القدس بقيادة أحمد حلمي باشا، وخالد الحسيني، وفاضل عبدالله، تصدت لليهود بالرغم من نقص الذخيرة وتأخر وصول الجيش العربي

---

(٢٥) وثائق المقاومة الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ١٩٦٨م، ص ص٣٠٥- ٢١٧.

(٢٦) مذكرات مفتي فلسطين، جريدة أخبار اليوم المصرية، الأعداد ١٠، ١٢، بتاريخ ٥/١٠/ ١٩٥٧م.

الأردني إلى القدس[٢٧].

وكان جلوب باشا، القائد العام للجيش العربي الأردني، لا يرغب في إرسال أي مساعدات حربية للقدس لتآمره مع اليهود، إلا أن الاستغاثات المتتالية، من زعماء القدس وسكانها، للملك عبدالله جعلته يأمر بانتقال الكتيبة السادسة من أريحا إلى القدس للدفاع عنها، دون أن يتشاور مع جلوب وقادته، ومعظمهم إنجليز – كما ذكرنا[٢٨].

وبعد أن أخذت الكتيبة السادسة، بقيادة عبد الله التل، أماكنها في القدس، قام اليهود بمحاولات مستميتة لاقتحام أبواب المدينة القديمة، وخاصة باب النبي داوود، وذلك من أجل إنقاذ يهود القدس القديمة الذين يحاصرهم المجاهدون، وشهدت أبواب المدينة معارك طاحنة، وكانت المسافة أحياناً بين اليهود والعرب لا تتعدى خمسين متراً، وتم توحيد كافة القوات العربية بالقدس، وانضوائها تحت لواء الجيش العربي الأردني الذي تمثله الكتيبة السادسة .

وقامت القوات العربية بقصف الحي اليهودي بالقدس القديمة بالمدافع [٢٩]، وأظهر المجاهدون بطولات رائعة، وتم وضع قوة عربية في دير الأرمن بالقرب من باب النبي داوود، لفصل حي الأرمن عن الحي اليهودي، وحماية الأرمن من هجمات اليهود الذين كانوا يعتبرونهم موالين للعرب، وعمدوا إلى ضرب الحي الأرمني بمختلف أنواع الأسلحة، ولذلك تكبد الأرمن خسائر فادحة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

معركة باب النبي داوود واستسلام اليهود في القدس القديمة:

استمر هجوم اليهود على الأبواب الرئيسية للقدس القديمة، واستماتوا في القتال للوصول إلى اليهود المحاصرين في القدس القديمة، وكان أكبر هجوم قاموا به في مساء ١٩٤٨/٥/٢٤م، حينما قامت فرقة من البالماخ بالهجوم على الجنود العرب

---

(٢٧) عبدالله التل، ص١٠٠.

(٢٨) قبل سفر المندوب السامي البريطاني من القدس إلى حيفا في ١٩٤٨/٥/١٤م اتصل بالفريق جلوب في عمان هاتفياً وودعه بمناسبة تركه فلسطين نهائياً، وقال له الجملة التالية: " Keep your master on the Hills". ومعناها احتفظ بسيدك على الجبال، ويقصد بذلك أن يبقي جيش الملك عبدالله على التلال المحيطة بالقدس ولا يهاجمها، مما يدل على إحكام المؤامرة بين القادة والساسة الإنجليز ضد العرب، عبدالله التل، ص١٠٢.

(٢٩) محمد حسنين هيكل، العروش والجيوش، ص١٥٩.

المرابطين في منطقة باب النبي داوود، وبدأت جموعهم تقترب من باب النبي داوود، حاملين معهم لغماً كبيراً لنسف السور، وانتظر العرب حتى اقترب اليهود منهم، وفي لحظة واحدة انهالت القنابل اليدوية على اليهود، وانفجر اللغم الذي يحملونه بينهم، ومرق أجسادهم، وولى الباقون الأدبار بعد أن حصدت الرشاشات منهم ٦٠ قتيلاً (٣٠).

وشجع هذا النصر القوات العربية والمجاهدين في القدس على الانتقال لما هو أهم، وهو حصار الحي اليهودي في القدس القديمة، وكان به حوالي ١٨٠٠ يهودي بينهم كثير من قوات الهاجاناه والأرجون واشتيرن، وقبل انتهاء الانتداب البريطاني، كان الجيش البريطاني يحميهم من جميع الجهات، ويمونهم بالمواد اللازمة، والأسلحة والذخائر، مما مكنهم من الاستمرار في المقاومة أثناء حصار العرب لهم بعد انتهاء الانتداب، ولغموا مداخل الحي، وحفروا الخنادق والممرات ليسهل للمحاربين التنقل من بيت لآخر دون التعرض للرصاص أو القنابل، وجمعوا من المؤن الشيء الكثير، واقتصدوا في استهلاكهم، استعداداً للحصار بعد جلاء حماتهم (الإنجليز)، وكانت أوامر الوكالة اليهودية لهم أن يدافعوا عن الحي حتى النهاية .

وكانت خطة القوات العربية : تدمير المنازل اليهودية التي اتخذت أبراجاً واستحكامات، تمهيداً لتقدم المشاة، وذلك لتقليل الضحايا من القوات المهاجمة، نظراً لطبيعة الحي الذي يتكون من ممرات ضيقة.

وبدأت فرقة التدمير عملها بنسف منظم للمنازل، فدب الرعب في قلوب اليهود، وأخذوا يضيقون خطوط دفاعهم شيئاً فشيئاً، وهم بذلك يضيقون الخناق على المدنيين الذين تضطرهم هجمات العرب للنـــزوح عن منازلهم، وينـــزلون على غيرهم، وبالتالي يسببون للمحاربيون متاعب جمة (٣١).

ثم قامت القوات العربية بقصف الحي اليهودي بمدافع الهاون في فترات متقطعة من الليل والنهار، لإجبارهم على التسليم، وشبت النيران في أغلب المنازل اليهودية المواجهة للقوات العربية في رأس العامود، وتحطمت الاستحكامات البارزة (٣٢).

وطلب قائد الكتيبة السادسة العربية، من قيادة فرقة المدفعية الأردنية، قصف بعض المواقع اليهودية الهامة في القدس الجديدة، لتخفيف هجماتهم على أبواب القدس القديمة، ومنعهم من تقديم أي مساعدات للحي اليهودي المحاصر في القدس

---

(٣٠) عبد الله التل، ص١٠٩.

(٣١) صالح مسعود/ جهاد شعب فلسطين، ص ص٤١٠ – ٤١١.

(٣٢) محمد حسنين هيكل، العروش والجيوش، ص١٧٦.

القديمة ، ولكن قادة الفرقة، وهم إنجليز، ماطلوا في الرد عليه، فقام بعض الضباط العرب الصغار في المدفعية بمغافلة الضباط الإنجليز وقصفوا بعض المواقع الهامة، وتهدمت منازل كثيرة، فتعالت صيحات اليهود للاستغاثة بحلفائهم الإنجليز، وتدخل حليفهم الأكبر جلوب، وأمر بنقل الضابط محمد المعايطة إلى عمان وهو أكبر ضابط عربى في المدفعية، بحجة أنه يختلف مع الضباط الإنجليز، ولم يسأله أحد في الحكومة الأردنية عن أسباب خلافه مع الضباط الإنجليز [٣٣].

ونجحت القوات العربية في القدس، بمساعدة بعض أهالي المدينة، في إدخال ثلاث مدرعات إلى القدس القديمة رغم ضيق شوارعها، في ليلة ١٩٤٨/٥/٢٦م، للمساعدة في حصار الحي اليهودي، وبدأت مهمتها في رمي مواقع اليهود بالقنابل والرشاشات، فلما رأى اليهود ذلك لم يبق لهم أمل في النجاة [٣٤].

وكعادة اليهود لا يتركون أي وسيلة أو ورقة تفيدهم إلا واستخدموها، وكانت آخر أوراقهم لإنقاذ الحي اليهودي هي تدخل الصليب الأحمر الدولي، فاستغاثوا بمندوب منطقة القدس، ويسمى كروفوازيه، الذي استجاب لهم، واجتمع بقائد القوات العربية في القدس، وطلب منه أن يسمح بنقل النساء والأطفال والشيوخ والجرحى إلى الأحياء اليهودية في القدس الجديدة، وترك المحاربين في الحي، ولكن القائد العربي، وهو عبد الله التل، أجاب عليه بأن هذا الطلب صعب التنفيذ من وجهة عسكرية، فلجأ مندوب الصليب الأحمر إلى التهديد، وقال للقائد العربي: " إذا لم تلب طلب الصليب الأحمر هذا فستكون في عداد مجرمي الحرب في المستقبل "، ولكن القائد لم يكترث بتهديده،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وضيق العرب الخناق على اليهود في يوم الجمعة ٥/٢٧ [٣٥]، فانكمشت خطوطهم الدفاعية حتى وصلت إلى الكنيس الكبير المسمى قدس الأقداس، وتجمع المحاربون اليهود بداخله، فوجه لهم القائد العربي إنذاراً، عن طريق مندوب الصليب الأحمر، إلى المحاربين بإخلاء الكنيس، وأعطاهم مهلة لذلك، حتى الرابعة عصراً، وكان الإنذار في العاشرة صباحاً، ولكن اليهود رفضوا الإنذار، فقامت القوات العربية بعد انتهاء المهلة بالهجوم على الكنيس، وقتل من فيه، وهدم أجزاء كثيرة منه نتيجة لتعنت اليهود، وعدم استسلامهم.

وفي ليلة ٥/٢٨ استمرت المدرعات ومدافع الهاون في قصفها المتقطع،

---

(٣٣) عبد الله التل، ص١١٦.

(٣٤) علي أبو الحسن : دور بريطانيا في تهويد فلسطين، ص٤٥٥.

(٣٥) محمد حسنين هيكل : العروش والجيوش، ص١٨٧.

وضيق الجنود العرب الخناق على المدافعين من اليهود، وفي صباح يوم الجمعة اضطر اليهود إلى إرسال رجل دين للتفاوض على الاستسلام، ووافق القائد العربي على استسلامهم، فأرسلوا وفدا عسكريا برئاسة قائد الهاجاناة في الحي اليهودي، للتفاوض على شروط التسليم، وحضر المفاوضات السنيور اسكراتي مندوب الأمم المتحدة في القدس، وطلب اليهود نقل جميع سكان الحي إلى الأحياء اليهودية في القدس الجديدة، ولكن القائد العربي أصر على الشروط التالية وهي : تسليم السلاح والذخائر، وأخذ المحاربين والقادرين على حمل السلاح أسرى حرب، واحتلال الحي، وتسليم النساء والأطفال والمرضى والجرحى إلى اليهود، بواسطة الصليب الأحمر الدولي [٣٦].

وبعد جدال استمر ثلاث ساعات اضطر اليهود للموافقة على الشروط، وكتبت وثيقة التسليم باللغتين العربية والإنجليزية، ووقعها عن الجانب العربي عبد الله التل قائد القوات العربية بالقدس، وعن الجانب اليهودي موشه روزنك قائد الهاجاناه [٣٧].

وأمر القائد العربي بعد توقيع وثيقة التسليم بوقف الرمي، وطلب من اليهود التجمع في وسط الحي اليهودي، ونشر جنوده على أطراف المنطقة للحفاظ على اليهود من هجوم العامة للانتقام منهم لما فعله إخوانهم في دير ياسين وغيرها، ولذلك كان اليهود في شدة الخوف والرعب، متوقعين أن تفتح عليهم الرشاشات فتبيدهم كما يفعلون في القرى العربية، ولكن القوات العربية عاملتهم بهدوء ولين، وقدموا لهم الماء والطعام، وقاموا بنقل المحاربين وعددهم ٣٤٠ إلى عمان، وتسليم النساء والشيوخ والمرضى إلى الصليب الأحمر، وحافظوا عليهم للمرور عبر باب النبي داوود إلى الأحياء اليهودية بالقدس الجديدة، ولم يتعرض أحد من العرب لأي يهودي، بل إن بعض الجنود حملوا العجائز منهم على ظهورهم حتى الباب الرئيسي، وذلك بشهادة مندوب الصليب الأحمر والأمم المتحدة [٣٨].

وقد أسفرت هذه المعركة عن قتل ما يزيد على ٣٠٠ يهودي من المحاربين، معظمهم من عصابة الأرجون، بالإضافة إلى ٣٤٠ أسيراً، وأدت إلى بقاء القدس القديمة في يد العرب حتى حرب يونيه ١٩٦٧م، بينما كانت خسائر العرب في هذه المعركة ١٤ شهيداً من جنود الجيش وعشرة من المتطوعين، والجرحى ٢٥ جندياً .

وحاولت القوات العربية في القدس احتلال جبل سكوبس؛ الذي شرف على

---

(٣٦) صالح مسعود : جهاد شعب فلسطين، ص ص٤١١ – ٤١٢.

(٣٧) د. حسين شريف : المفهوم السياسي، ج١ ص٦٦١، ج٢ ص٣٥.

(٣٨) عبد الله التل : ص١٣٦.

القدس من الجانب الشمالي الشرقي، والذى أقام فيه اليهود مستشفى هداسا وملحقاتها، والجامعة العبرية، وجعلوها أماكن حصينة، ولكن جلوب قائد الجيش الأردني منعهم من التعرض لهما بحجة أن هاتين المؤسستين شيدتا بأموال الأمريكان لا بأموال اليهود [٣٩]، وكذلك ادعت قيادة الجيش في عمان أن هداسا مؤسسة صحية عالمية لا يجوز التعرض لها، وكذلك الأمر مع الجامعة العبرية التي اعتبرتها عمان مؤسسة ثقافية [٤٠].

وحاولت بعض القوات العربية والمتطوعين قصف جبل سكوبس بقنابل الهاون، لاقتناعهم بأن ما به أماكن حربية حصينة، وليست مجرد مستشفى أو جامعة، ولكن قنصل أمريكا تدخل لوقفه، وكذلك جلوب أقنع الملك عبد الله أن يأمرهم بوقف القصف، واستجاب الملك، وأمر بعدم التعرض لجبل سكوبس [٤١].

معركة رامات راحيل :

عند دخول الجيوش العربية إلى فلسطين في ١٩٤٨/٥/١٥م، وصلت كتيبة مصرية من المجاهدين المتطوعين، بقيادة البطل أحمد عبد العزيز، بمساعدة مجموعة من الضباط التابعين للجيش المصري إلى جنوب القدس، وانضمت إليه بعض قوات الجيش العربي الموجودة في جنوب القدس، وأصبح القائد أحمد عبد العزيز مسؤولاً عن جميع القوات العربية في المنطقة..

وكان أول هدف لهذه القوات هو السيطرة على مستعمرة رامات راحيل، لأنها تشكل نتوءاً قوياً في خطوط الدفاع العربية بجنوب القدس، وكانت مبنية من الحجر الصلد، فهي حصن منيع لليهود .

وتقرر القيام بالهجوم يوم الاثنين ١٩٤٨/٥/٢٤م، واشتركت فيه وحدات من الجيش العربي الأردني مع القوات المصرية، وتعاونت الكتيبة السادسة بالقدس مع الهجوم، حيث قامت بقصف الأحياء اليهودية في القدس الجديدة لشغلهم، وتحويل أنظارهم عن الهجوم على مستعمرة رامات راحيل [٤٢].

وبدأت المدافع المصرية بقصف المستعمرة، ونجحت في تخريب أغلب البيوت المحصنة والاستحكامات، ثم زحفت قوات المشاة المصرية والأردنية، وكانت خطتهم

---

(٣٩) موسوعة ويكيبديا الحرة.

(٤٠) عبد الله التل : ص١٦٠.

(٤١) محمد حسنين هيكل : العروش والجيوش، ص٢٠٣.

(٤٢) محمد حسنين هيكل : العروش والجيوش، ص٢١٢.

تدمير المستعمرة تدميراً تاماً لصعوبة احتلالها، وفي منتصف النهار كان المهاجمون قد دمروا معظم منازل المستعمرة، وتجمع اليهود في أحد المنازل الحصينة للدفاع عن أنفسهم، وهنا حدث أمر لم يكن في حسبان القائد أحمد عبد العزيز، فقد تدفق المئات من العرب المدنيين في هذه المنطقة إلى المستعمرة لجمع الغنائم، وقلدهم بعد الجنود العرب، وتحول الهجوم عن الهدف الذي رسمه القائد، وحاول منع المحاربين عما يقومون به، والتركيز على الهدف الرئيسي، ولكن فشل في ذلك، بعد أن أصبح المحاربين محملين بالغنائم. وفي الليل أمر القادة الإنجليز في الجيش الأردني بسحب القوات الأردنية المشاركة مع القوات المصرية، في الوقت الذي أرسل فيه اليهود نجدات إلى المستعمرة .

وفي الصباح وجد القائد أحمد عبد العزيز أن الوضع قد تغير، لأن اليهود عادوا واستحكموا في المستعمرة، ولابد لإخراجهم من هجوم منظم جديد، ولم يعد هذا بالإمكان، واقتصرت العمليات على بعض المناوشات بين العرب واليهود(٤٣).

معركة اللطرون :

وهي معركة دارت بين القوات الأردنية المكونة من ١٢٠٠ جندي، برئاسة القائد حابس المجالي، والقوات الصهيونية برئاسة أرئيل شارون (الذي أصبح رئيساً للوزراء فيما بعد) وتبلغ ٥٠٠ مقاتل، وتقع هذه المنطقة شمال غرب القدس عند نقطة التقاء طريق الرملة بالقدس، وكذلك تتحكم في طريق القدس يافا العام .

وقد حاول اليهود السيطرة عليها في يوم الثالث عشر من مايو قبل انسحاب القوات الإنجليزية من قاعدتهم بها، ومقرها مخفر اللطرون، ويبدو أن الإنجليز أوعزوا إليهم بذلك ليحلوا محلهم، ويمكنوهم منها قبل جلائهم، فأرسل اليهود حشوداً كثيرة إلى سهل عمواس بالقرب من المكان، ليسيطروا عليه، ويتحكموا بذلك في موقع استراتيجي حاسم يتحكم في مدخل القدس(٤٤) .

وعندما علم فوزي القاوقجي قائد جيش الإنقاذ العربي بهذه الحشود، أمر قواته بالتوجه إلى هذه المنطقة مع قوات من جيش الجهاد المقدس، للتصدي لها، وبالفعل أخذت القوات العربية أماكنها على مقربة من الحشود الصهيونية، وعندما أحس الإنجليز بوجود العرب طلبوا من الطرفين عدم الاشتباك طوال مدة جلائهم عن المخفر

---

(٤٣) حسن البدري : الحرب في أرض السلام، دار الوطن العربي، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ص١٠٣.

(٤٤) موسوعة ويكيبديا الحرة.

ولكن اليهود، وربما أيضاً بتواطؤ من الإنجليز، تقدموا للسيطرة على المخفر يوم ١٣ مايو قبل أن يتم جلاء الإنجليز، فانصبت قنابل المدافع العربية عليهم، وكانت المسافة بين الطرفين تتراوح ما بين ٢٠٠ إلى ٥٠٠ متر، لذلك كانت الإصابات مباشرة، وصعق اليهود لسرعة الرد العربي، ولم يتمكنوا من الرد عليه لكثافته، فتركوا مواقعهم وأمعنوا في الهرب تتبعهم سرية مصفحات عربية، وتنهال عليهم المدافع العربية، حتى ابتعدوا عن سهل عمواس، وامتلأ السهل بقتلى اليهود، وكثير من الأسلحة والذخائر(٤٥).

وبعد جلاء الإنجليز، ودخول الجيوش العربية إلى فلسطين، صدرت الأوامر إلى قوات الإنقاذ بتسليم أماكنها حول القدس للجيش الأردني، فانتهز اليهود هذه الفرصة وقاموا بشن العديد من الهجمات للسيطرة على منطقة اللطرون التي تتحكم في مدخل القدس، ونجح هجومهم في السيطرة عليها يوم ١٦، ١٧ مايو، مستغلين فرصة عدم تمركز الجيش العربي الأردني في مواقعه بعد، إلا أن الجيش الأردني قد استردها منهم بعد يومين فقط من السيطرة عليها (٤٦).

وبعد أيام قليلة شن اللواء السابع الإسرائيلي، والكتيبة الثانية من لواء ألكنسدروني، هجوماً كبيراً فيما يعرف بعملية بن نون، للسيطرة على اللطرون، ولكن الجيش الأردني تصدى لهم، وكبد القوات الإسرائيلية خسائر فادحة في الأفراد، وتجدد القتال بين الطرفين يومي ٢٥، ٢٦ مايو، ولم يحقق اليهود أي نجاح بعد وصول إمدادات للجيش الأردني نجحت في هزيمة اليهود، وتراجعهم (٤٧).

وفي يوم ٣٠ مايو تسللت وحدات إسرائيلية إلى مخفر شرطة اللطرون، وحاولوا زرع ألغام لتدميره، فتصدى لهم الجيش الأردني، وأجبرهم على التراجع والانسحاب، بعد تدمير بعض المباني بالقرية .

وأدت هزيمة اليهود، وإخفاقهم في السيطرة على اللطرون، إلى البحث عن مدخل آخر للقدس يتجاوز اللطرون، ولكنهم لم ينجحوا في ذلك فعاودوا الهجوم على اللطرون في ليل ٨، ٩ يونيو، فيما يعرف بعملية بورام، وكانت تقضي بالهجوم على القرية من جهة الجنوب الشرقي، بوحدات عسكرية من لوائي هرئيل ويفتاح، ولكن

---

(٤٥) الفريق عفيف البزري : التحرير في قفص المستعمرين، دمشق ١٩٨٨م، بدون طبعة، ص٥٦.

(٤٦) عبدالرحمن الرافعي : في أعقاب الثورة المصرية، الجزء الثالث، دار المعارف، الطبعة الثانية١٩٨٩م، ص ص٩٨ – ١٠٠.

(٤٧) محمد حسنين هيكل : العروش والجيوش، ص١٩٤.

القوات الأردنية صدت هجومهم، وردتهم على أعقابهم .

وقد جرح في أثناء هذه المعارك أرييل شارون قائد الجيش الإسرائيلي المهاجم للقرية، وتم أسره ونقله إلى الخطوط الخلفية في معسكر اعتقال الأسرى اليهود، وتم مبادلته بأسير عربي عندما جرت عملية تبادل الأسرى بعد الهدنة الثانية .

وبلغت خسائر الجيش الإسرائيلي في معارك اللطرون حوالي ألفي قتيل، حسبما روي على لسان النائب الإسرائيلي في الكنيست عوزي لاندو، وإن كان قد تراجع عن تصريحه فيما بعد، عندما تعرض لانتقادات شديدة من الساسة اليهود، وذكر أن خسائر اليهود كانت لا تتعدى ألف قتيل (٤٨).

معركة باب الواد :

كانت بعض قوات جيش الإنقاذ العربي – والمكون من المتطوعين العرب – بقيادة فوزي القاوقجي تحاصر أحياء اليهود في القدس منذ مطلع مايو سنة ١٩٤٨م، وتصب نيران مدافعها على الأماكن التي يتحصن بها اليهود في القدس الجديدة، وذلك رغبة منهم في تخفيف ضغط الحصار عليهم، فحاولوا الهجوم على القدس القديمة والسيطرة عليها – كما ذكرنا سابقاً – ولكن محاولتهم فشلت، وتصدت لها القوات العربية (٤٩).

وفي الخامس من مايو فتحت القوات العربية نيران مدافعها على مواقع اليهود في بعض مناطق القدس، مثل القطمون، والشيخ جراح، وشيرم والنبي داوود،وقامت قوة عربية باسترداد حي الشيخ جراح من الصهاينة – وكانوا قد سيطروا عليه منذ فترة – واستمرت نيران المدفعية العربية تنصب على اليهود طوال ليلة السادس من مايو، مما دعا البريطانيين للتدخل لحماية اليهود، وأرسل المندوب السامي البريطاني في فلسطين إلى فوزي القاوقجي قائد جيش الإنقاذ العربي يهدده ويتودعه إن توقف القتال، ولكن القاوقجي رفض تهديده، فجرت اتصالات سرية بين البريطانيين والجامعة العربية، انتهت إلى عقد اجتماع عاجل في أريحا حضره من الجانب العربي : عبدالرحمن عزام الأمين العام للجامعة، والقائد العام لقوات الإنقاذ اللواء إسماعيل صفوة، والقنصل المصري في القدس فراج طايع، وعن الإنجليز المندوب السامي البريطاني، وتم في هذا الاجتماع عقد هدنة تشمل القدس .

وكما هي العادة، لم يحترم اليهود الهدنة، واحتلوا بعض الأحياء العربية في

---

(٤٨) موسوعة ويكيبيديا الحرة، معركة اللطرون.

(٤٩) الفريق عفيف البزري : التحرير في قفص المستعمرين، دمشق ١٩٨٨م، ص٥٦.

القدس الجديدة، وكذلك حي الشيخ جراح [٥٠].

كما حاول اليهود استغلال الهدنة لفتح الطريق من القدس إلى تل أبيب، وكسر حصار القوات العربية لهذا الطريق، وحشدوا قواتهم للهجوم على باب الواد، شمال غرب القدس، الذي يتحكم في هذا الطريق، وجاءت لهم إمدادات من داخل القدس ومن الرحبوت، تقدر بلواءين، وبدأوا هجومهم الكبير ليلة الثامن من مايو، تتقدمهم جرافات لإزاحة الكتل الصخرية التي وضعها العرب على الطريق لسده أمامهم، وتمكن اليهود في أول الأمر من احتلال سيرس، وبيت محيسير، وهما موقعان هامين يتحكمان في باب الواد، واستمرت المعارك الطاحنة حول الطريق، وبلغت ذروتها في العاشر من مايو، عندما حاولت قوات الصهاينة، الآتية من داخل القدس، الاتصال بالقوات الخارجية القادمة من رحبوت، ولكن القوات العربية منعت هذا الاتصال[٥١] .

ووصلت إمدادات للقوات العربية تمثلت في كتيبة مشاة، وقوات من جيش الإنقاذ المؤلف من عرب فلسطين أخذت مواقعها أمام بيت محيسير المحتل من قبل الصهاينة، وبدأ العرب هجومهم المضاد في الرابعة فجر الحادي عشر من مايو، وقد وصف القائد فوزي القاوقجي هذه المعركة بقوله: " بدأ هجومنا المضاد في الساعة المحددة له، واندفع مجاهدونا من الإنقاذ والجهاد المقدس، بحماسة تكاد تكون جنونية، والمدفعية تقصف أهدافها، مساندة الهجوم، قصفاً عنيفاً ببراعة فائقة، بشكل لا أتذكر أنني شهدت مثله في الحروب النظامية التي اشتركت فيها من قبل، وانطلق آمر المصفحات بمصفحاته، غير مكترث بوعورة الأرض وكثافة النيران، يهاجم المصفحات اليهودية، ويدمر كل ما يصادفه من الأعداء في طريقه، ويرغمهم على

---

(٥٠) لم يتعلم العرب أبداً من دروس التاريخ، فكلما كان الموقف العسكري في صالحهم، يسارع اليهود وحلفاؤهم الإنجليز إلى طلب الهدنة، وخداع السياسيين العرب بقبولها، ويجبر السياسيون القادة العسكريين على قبولها، بل والالتزام بها، في الوقت الذي لا يلتزم بها اليهود، ويحولون الموقف العسكري لصالحهم، وحدث هذا في الثورة الفلسطينية الكبرى في فلسطين ١٩٣٦ – ١٩٣٩م التي كادت أن تنجح لولا تدخل الزعماء العرب لوقفها، وكذلك حرب ١٩٤٨م التي حقق فيها العرب انتصارات كبيرة في مرحلتها الأولى لولا قبول زعماء العرب للهدنة التي استغلها اليهود في جلب المقاتلين والسلاح، والتزم بها العرب، فتحول الموقف لصالح اليهود بعد تجدد القتال. عفيف البرزي، التحرير في قفص المستعمرين، ص٥٩.

(٥١) محمد حسين هيكل : العروش والجيوش، ص ص١٦٣ – ١٦٥.

الهزيمة، ولم تستطع القوات اليهودية الصمود في وجه جنودنا، واستمرت المعركة بهذه الحدة حتى الساعة العاشرة، وتصدع الخط اليهودي كله، وتخلت القوات اليهودية عن مراكزها، وبدأت في صفوفهم هزيمة جماعية تامة. وفي الساعة ١١ والدقيقة ٤٥ وصلتني من المقدم مهدي – أحد القادة الميدانيين هذه البرقية[٥٢]:

استولت قواتنا على جميع المرتفعات والأحراس، قتلى اليهود لا تحصى، غنائمنا إلى الآن ٣٥٠ بندقية، طاردنا اليهود المنهزمين، تخطينا طريق باب الواد – القدس في اتجاه بيت محيسير لاحتلالها. وبعد ساعة وردت برقية أخرى تقول:

فصلنا ما يقارب الألف يهودي في بيت محيسير عن بقية القوات اليهودية، لم ينجح منهم إلا من فر باتجاه مستعمرة عرطوف، طهرت قواتنا بيت محيسير وخربة حرسيس، تستمر المعركة في الأحراش بعنف شديد، عدد القتلى اليهود وكميات الغنائم بازدياد في كل لحظة، نتقدم باستمرار إلى جانبا الجهاد المقدس، نطارد اليهود نحو القدس. وفي الساعة الخامسة عشرة لم يبق لليهود في المنطقة أي أثر، وكانت الغنائم من الأسلحة كثيرة بينها أربع مصفحات صالحة للاستعمال عدا ما تحطم من المصفحات اليهودية التي بلغ عددها ١٣ مصفحة، وإن نتيجة هذه المعركة كانت تختلف عن غيرها من المعارك السابقة بوفرة الغنائم وتنوعها، وظهور أسلحة جديدة لم نعثر على مثلها قبل ذلك، كمدافع مضادة للطائرات وللمصفحات في آن واحد، وصنوف من التجهيزات المتنوعة [٥٣].

وأحكم العرب بذلك الحصار على مستعمرات اليهود في القدس، بل وقامت قوات عربية بالسيطرة على مستعمرة النبي يعقوب الواقعة على طريق القدس – رام الله، يوم ١٤ مايو، وفر منها اليهود حاملين جرحاهم وقتلاهم .

وعندما صدرت الأوامر لقوات جيش الإنقاذ العربي بتسليم مواقعها للجيش الأردني، الذي أعلن الحرب رسمياً مع الجيوش العربية ضد إسرائيل يوم ١٥ مايو، انتهز اليهود الفرصة، وسيطروا على حي الشيخ جراح قبل أن تتمكن القوات الأردنية من التمركز في مواقعها، بل وقاموا بشن عدة هجمات على المواقع العربية في القدس القديمة، وتوجهت كتيبة أردنية لتسلم مواقع باب الواد، وكانت برئاسة ضابط إنجليزي وهو الميجر سليد[٥٤]، فقام هذا الميجر بتسليم الضفة الجنوبية عبر باب الواد إلى

---

(٥٢) وائل عبيد : تاريخ العرب الحديث، ص ص٢٤٨، ٢٥٥.

(٥٣) مذكرات فوزي القاوقجي : نقلاً عن كتاب الفريق عفيف البرزي، التحرير، ص٥٦.

(٥٤) كان الجيش الأردني حينذاك يضم العديد من الضباط الإنجليز على رأسهم جلوب باشا القائد العام للجيش الأردني، واستمر هذا الوضع حتى سنة ١٩٥٦م حينما قام الملك

الصهاينة، كما سلم لهم بيت محيسير وسيرسي التي طردهم العرب منها قبل ذلك، وبذلك تم فك الحصار العربي المفروض على التجمعات اليهودية بالقدس .

ولا أدري كيف سلمت السلطات الأردنية مواقع بهذه الأهمية لضباط إنجليز، والكل يعلم بأن الإنجليز هم الذين زرعوا اليهود في فلسطين، وساعدوهم على اغتصابها. فهل كانت السلطات الأردنية تجهل ذلك، أم كانت تعلم ولكنها تثق في هؤلاء الضباط ؟ وهذا خطأ فادح كلف العرب الكثير في هذه الحرب، وخاصة في ميدان القدس، ولعل هذا ما دفع كثيراً من المؤرخين العسكريين إلى اتهام السلطات الأردنية بالخيانة وموالاة اليهود، والتآمر معهم ضد باقي الجيوش العربية، وأدت هذه الاتهامات إلى وجود صدى لها عند بعض الشباب العرب، وهذا ما دفع بعضهم إلى اغتيال الملك عبدالله فيما بعد .

إلا أننا نتحفظ كثيراً، ولا نميل إلى اتهام البعض بالخيانة، قد نتهمه بالخطأ أو بالجهل بالنواحي العسكرية، أو عدم الحنكة السياسية، إلا أن تهمة التآمر والخيانة يصعب علينا إصدارها، إلا مع وجود وثائق مؤكدة تثبت ذلك وتؤيده(٥٥) .

وفي يوم التاسع عشر من مايو تمكنت كتيبة عربية من قوات جيش الإنقاذ، بقيادة غسان جويلد، من طرد اليهود من حي الشيخ جراح، بعد إمطارهم بوابل من قذائف المدافع والرشاشات، وتم انسحاب الكتيبة العربية بعد ذلك، لتحل محلها كتيبة أردنية كانت بقيادة الضابط نواف جبر الحمود، وشتان ما بين قائد عربي تجري في عروقه دماء العروبة، وضابط إنجليزي نشأ على حب الصهاينة واليهود، مهما تظاهر بغير ذلك .

وقد خاضت الكتيبة الأردنية، وما جاء لها من إمدادات أخرى، معركة هامة مع القوات الصهيونية عند باب الواد، في أواخر مايو بعد هزيمة اليهود على يد الجيش العربي وموقعه اللطرون، ويبدو أنهم أرادوا التأر لما حدث لهم في موقعة اللطرون، بضرب القوات العربية المرتكزة عند باب الواد(٥٦) .

وتصدت القوات العربية للهجوم اليهودي، وقتلت من اليهود المئات، وجرح

الحسين بن طلال بطرد جلوب ومعاونيه من الإنجليز وتعريب قيادة الجيش الأردني، أحمد يوسف التل، بطل معركة القدس، ص ص١١١- ١١٣.

(٥٥) صالح مسعود : جهاد شعب فلسطين، ص ص٢٦١ – ٢٦٢.

(٥٦) أنور الجندي : العالم الإسلامي، ص٢٢٣؛ موسوعة ويكيديا الحرة.

أكثر من ألف، وخسر الجيش الأردني عشرين شهيداً [٥٧].

وأدت هذه المعركة إلى نجاح الكتيبة السادسة من الجيش الأردني في إحكام حصار الحي اليهودي في القدس القديمة، واستسلام من فيه، وأخذ الشباب المقاتلين فيه أسرى إلى معسكر الأسرى عند منطقة أم الجمال – كما سبق وذكرنا – .

كما أصبحت باقي التجمعات اليهودية بالقدس تحت الحصار العربي، وكان عدد من بها من اليهود يبلغ مائة ألف، وكانوا مهددين إما بالفناء أو الاستسلام، حتى أنقذتهم الدول الكبرى المتآمرة مع اليهود، وفرضت هدنة على العرب واليهود يوم ١١ يونيه سنة ١٩٤٨م، وتم تعيين الكونت برنادوت وسيطاً دولياً من قبل هيئة الأمم المتحدة لمراقبة الهدنة، أو بمعنى أدق مراقبة التزام العرب بالهدنة وغض الطرف عن انتهاكات اليهود لها. بل وإنقاذ يهود القدس من مصيرهم المحتوم الذي كانوا سيتعرضون له في حال عدم انعقاد الهدنة [٥٨].

ولا أجد وصفاً لهذا الموقف أبلغ مما ذكره عبدالله التل [٥٩] في كتابه كارثة فلسطين فقال: " إن الحكومة الأردنية لها دور كبير في الضغط على الدول العربية لقبول الهدنة، ورغم ذلك فليس هناك جريمة أكبر من موافقة جامعة الدول العربية على شروط الهدنة التي قدمها برنادوت بدون قيد أو شرط، فقد وافق أعضاء اللجنة

ARCHIVE

---

(٥٧) قال بن جوريون أول رئيس وزراء لدولة إسرائيل في يونيه سنة ١٩٤٩م عن هذه المعركة: " لقد خسرنا في معركة باب الواد وحدها أمام الجيش الأردني ضعفي قتلانا في الحرب كاملة "؛ محمد حسين هيكل، العروش والجيوش، ص٨٩.

(٥٨) د. حسين شريف : المفهوم السياسي، ج٢ ص٣٥.

(٥٩) كان عبدالله التل قائدا عسكريا ومفكرا إسلامي، وكان أحد قادة الجيش الأردني في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م، وخاض العديد من المعارك في القدس، وعين حاكماً على القدس العربية بعد انتهاء الحرب سنة ١٩٤٨/ ١٩٤٩م، وله كتاب كارثة فلسطين الذي اتهم فيه القيادة العربية بصنع الهزيمة، وله كتاب آخر بعنوان الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام، وأدت كتاباته الجريئة، وآرائه الحرة، إلى صدامه مع السلطات الأردنية فتوجه إلى مصر، وعاش بها لاجئنا لمدة ١٦ سنة، حتى أصدر الملك حسين قانون العفو العام سنة ١٩٦٥م، فعاد إلى الأردن، وأخذ يعمل بنشاط في مجالات الدعوة الإسلامية، حتى توفي في أغسطس سنة ١٩٧٣م. أحمد يوسف التل، عبدالله التل بطل معركة القدس، دار الفرقان، سنة ١٩٩٩م.

السياسية على أكبر خطيئة في تاريخ الحروب بالشرق العربي، ألا وهو السماح بفك الحصار عن مدينة القدس، وإنقاذ مائة ألف يهود كانوا على وشك التسليم أو الموت جوعاً وعطشاً، وافقوا قبل أن يفكروا قليلاً في نتائج ما أقدموا عليه، وافقوا قبل أن يفكر أحدهم فيما سيقع بعد عشرة أيام فقط من ذلك اليوم المشؤوم، وافقوا لأنهم وثقوا في وفد الأردن في اللجنة السياسية، وصدقوا رئيس الحكومة الأردنية الخائن. وافقوا قبل أن يفهموا أن القدس هي كل شيء في فلسطين وأن من يحتلها ينهي المعركة كلها (٦٠).

وكان من شروط الهدنة أن تقوم جمعية الصليب الأحمر الدولي بتزويد القدس بالماء والمؤن خلال فترة الهدنة، وتفتح طريق تل أبيب – القدس لهذه الغاية، وكانت هذه الهدنة بمثابة إنقاذ لليهود، ليس في القدس فحسب، بل في فلسطين كلها .

القدس أثناء الهدنة الأولى :

بدأ سريان الهدنة يوم ١٩٤٨/٦/١١م، وبما أن الملك عبدالله كان أول الموافقين عليها – بل إن قادة جيشه الإنجليز أمروا القوات الأردنية بعدم إطلاق النار على اليهود قبلها بعدة أيام، والاكتفاء بصد هجماتهم – فقد قام الملك عبدالله بزيارة القدس في أول أيام الهدنة، وكان موافقا الجمعة حيث صلى في المسجد الأقصى، وبعد الصلاة وتحية أهلها أصدر أمراً بتعيين أحمد حلمي باشا حاكماً عسكرياً للقدس، وترقية بعض الضباط الذين أبلوا بلاءًا حسناً في الدفاع عن القدس (٦١).

وفي اليوم التالي زار القدس الوسيط الدولي المشرف على الهدنة، وهو برنادوت، واطلع على الحالة الحربية فيها، وكيف أن القوات العربية تطوقها من جميع الجهات، ولولا الهدنة لسقطت في قبضة العرب كلها في خلال أيام قليلة. وتم عقد اجتماع بين برنادوت وقائد الفرقة الرابعة بالجيش الأردني وهو لاشي الإنجليزي (٦٢)،

---

(٦٠) عبدالله التل : كارثة فلسطين، ص١٨٨؛ إبراهيم شكيب : حرب فلسطين، ص١٠٣.

(٦١) لم تعجب هذه الترقيات جلوب باشا قائد الجيش الأردني، وحاول تعطيلها، بل ورقى بعض الضباط الذين لم يشاركوا في الحرب، ربما مكافأة لهم على عدم إيذاء اليهود إخوانه، عبدالله التل، ص٢١٠.

(٦٢) كانت الكتيبة السادسة الموجودة بالقدس تتبع الفرقة الرابعة، لذلك اجتمع برنادوت مع قائدها للتباحث حول القدس؛ عفيف البرزي، التحرير في قفص المستعمرين، ص ص٥٨ – ٦٣.

ولم ينشغل الطرفان سوى بكيفية إمداد الأحياء اليهودية بالقدس بالمياه والمؤن[٦٣]، وعين برنادوت مراقبين للقدس قاموا بتخطيط الحدود بين العرب واليهود في القدس، ووضع الخرائط .

وبدأت قوافل اليهود بتموين الأحياء اليهودية بكميات وفيرة من المؤن والغذاء، بل والسلاح أيضاً، تحت سمع وبصر المراقبين الدوليين دون رقابة أو تفتيش .

وفي ١٩٤٨/٧/٤م وضع برنادوت مقترحاته لحل مشكلة فلسطين، وكان فيها ما يخص القدس، وهو أن تضم القدس إلى المنطقة العربية، على أن يكون للجالية اليهودية فيها بلدية مستقلة استقلالاً ذاتياً، وتتخذ التدابير اللازمة لحماية الأماكن المقدسة .

إلا أن العرب رفضوا هذه المقترحات، لأنها ترمي إلى قيام دولة يهودية في فلسطين، وتسمح باستمرار الهجرة الصهيونية، كما رفضها اليهود لأنها تأخذ منهم القدس والنقب،وتعطي العرب حق الإشراف على الهدنة.

ونجح اليهود خلال فترة الهدنة في شق طريق جبلي إلى القدس، استطاعوا من خلاله نقل الأسلحة الثقيلة والإمدادات العسكرية إليها، وكذلك تقوية مراكزهم الدفاعية فيها، كما أقاموا محطة كهرباء ومياه في أحيائهم بالقدس، حتى لا يحتاجون إليها من خارجها. وكل ذلك تحت سمع وبصر برنادوت ورجاله، وقادة الجيش العربي الأردني من الإنجليز.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما ما فعله الجانب العربي في القدس : فقد قام بإعادة بناء بعض الاستحكامات في برج داوود ومنطقة الثوري، وإعادة تمركز بعض السرايا وتنظيمها.

بينما لم تقدم الحكومة العربية أي إمدادات جديدة، أو ذخائر أو أسلحة لقواتها، بحجة التزامها ببنود الهدنة، رغم علمهم بما يفعله اليهود، وإن لم يكونوا يعلمون فهذا أدهى وأمر.

ومما حققه اليهود من مكاسب في القدس أثناء الهدنة، بتآمر الضباط الإنجليز، هو موافقة حكومة عمان على اعتبار جبل سكوبس وما عليه من مؤسسات، وهي مستشفى هداسا والجامعة العبرية، منطقة دولية يرفع عليها علم هيئة الأمم المتحدة، وتجرد من السلاح، بعد أن كانت تلك المنطقة في حكم الخاضعة لسلطان العرب، نظراً لانقطاعها عن الاتصال بيهود القدس الجديدة .

ووقع هذه الاتفاقية لاش الإنجليزى قائد الفرقة الأردنية الرابعة، الذي وافق

---

(٦٣) هيكل : العروش والجيوش، ص٢٧٧.

على بقاء اليهود في هذه المنطقة في شكل بوليس وهو يعلم أنه لا فرق بين بوليس اليهود وجيشهم، كما وافق لاش على تموين اليهود المرابطين في تلك المنطقة، وتبديلهم من يهود القدس مرة في كل أربعة أسابيع، بل ضم إليها أيضاً قصر المطلع المجاور للجبل، وقرية العيسوية، لتصبح بذلك ثكنة عسكرية يهودية في قلب القدس العربية (٦٤).

القدس بعد تجدد القتال :

رفض العرب خطة برنادوت لتمديد الهدنة، برغم عدم قيامهم بأي إجراءات لتحسين وضعهم الحربي في فلسطين، بينما وافق عليها اليهود برغم ما قاموا به من استعدادات، ربما ليظهروا أمام العالم بأنهم الطرف الضعيف، فتزداد معونات الدول الكبرى لهم ومساندتهم.

وانتهت الهدنة في الساعة الثامنة صباح الجمعة ١٩٤٨/٧/٩م، وبدأ اليهود يستعدون للهجوم على القدس القديمة، بعد أن كانوا محاصرين عند بداية الهدنة في القدس الجديدة، وكل ما فعلته قيادة اللواء الرابع الذي تتبعه الكتيبة السادسة المرابطة في القدس، أن أرسلت لهم تحذيراً من قرب وقوع الهجوم اليهودي، دون أن تمدهم بأي تعزيزات أو إمدادات(٦٥).

واقتصرت الأعمال الحربية، في الأيام الأولى لنشوب القتال، على تبادل القصف بالرشاشات ومدافع الهاون بين القدس القديمة والقدس الجديدة، وسقط عدد كبير من قنابل اليهود على ساحة الحرم الشريف، وأصابت إحداها قبة الصخرة، وكذلك كنيسة القيامة، ورد العرب بقصف منطقة الوكالة اليهودية ومقر قيادتهم في المسكوبيّة .

وكانت الأحداث تكشف كل يوم تآمر القادة الإنجليز مع اليهود. ولا أدري كيف كانت حكومة عمان ترضى بهذه الطعنات التي يوجهها هؤلاء الضباط إلى ظهور الجيش العربي في فلسطين، ومنها بعد تجدد الحرب : أمر جلوب بنقل السرية الثانية عشرة من مواقعها في جنوب القدس، لإضعاف القوات المصرية المدافعة عنه ، وسحب سرية من القدس القديمة وإرسالها إلى رام الله، دون أن يحاسبه أحد في حكومة عمان .

وفي مساء يوم ٧/١٢ قام اليهود بهجوم مفاجئ على منطقة باب العمود والشيخ جراح، ومهدوا لهذا الهجوم بقصف شديد من مدافع الهاون، ودامت المعركة

---

(٦٤) عبدالله التل : ص٢٣٤.

(٦٥) سعد بدير الحلواني: تاريخ كل العرب الحديث والمعاصر، دار النشر للثقافة والعلوم، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ص ص٦٥ – ٦٧.

حتى الفجر، مع قوات الكتيبة الثالثة الأردنية التي ردتهم على أعقابهم دون أن يكسبوا شبراً واحداً، وخسر اليهود عشرات القتلى والجرحى[٦٦].

معركة مشيرم :

بعد هجوم اليهود السابق على مواقع الكتيبة الثالثة الأردنية اتفق ضباطها العرب مع قائد الكتيبة السادسة بالقدس عبدالله التل على القيام بهجوم مضاد على مناطق اليهود في حي مشيرم والمناطق المجاورة له، لأن احتلالها يؤدي إلى وصول القوات العربية إلى الأحياء اليهودية، وتطويق القوات اليهودية المرابطة في المسكوبية[٦٧].

وادعى الضباط العرب أمام قادتهم الإنجليز أن اليهود سيقومون بهجوم على الكتيبة الثالثة، لذلك سيبادرون هم ببدء الهجوم لتأديبهم، وفي فجر الجمعة ١٩٤٨/٧/١٦م بدأ العرب في قصف الأهداف اليهودية، ثم تقدم المشاة لطرد اليهود من قلاعهم ومنازلهم، وسط استماتة من اليهود المدافعين عن هذه المناطق، واستمر القتال حتى الثانية عشرة ظهراً، حيث أصدر القادة الإنجليز للجيش العربي قراراً بوقف القتال، وتهديدهم من يواصل القتال بوقفه ومعاقبته، وبذلك حرموا القوات العربية من نصر محقق كاد أن يتم، وإن كان العرب قد سيطروا على بعض المناطق، ولكن لم يحققوا الهدف الرئيسي وهو السيطرة على حي مشيرم [٦٨].

ورد اليهود على هجوم العرب سريعاً، ففي مساء نفس اليوم الجمعة ٧/١٦ قاموا بهجوم شامل على القدس القديمة لاحتلالها، وبدأوا بقصف المدينة بجميع ما لديهم من مدافع ثقيلة وخفيفة، وخاصة ما وصلهم منها أثناء الهدنة، وشمل القصف جميع مناطق القدس القديمة وما حولها من أحياء عربية خارج السور .

وبدأ زحف اليهود في الساعة الواحدة صباح ٧/١٧ متوجهين إلى الأبواب الرئيسية التي تؤدي بهم إلى المدينة القديمة، وتحقق أحلامهم في السيطرة على المسجد الأقصى وحائط المبكى وقبة الصخرة، وكانت مقدمتهم تحمل الألغام لنسف سور المدينة، وفتح ثغرات به للتسلل منها إلى الداخل، وانتظرت القوات العربية حتى اقترب اليهود من الأسوار، وأمطروهم بوابل من القنابل والرشاشات، فانفجرت الألغام التي يحملونها بينهم وتناثرت أشلاؤهم، وقتل الكثير منهم، وحاولت بقية القوات الهجوم على القوات العربية المدافعة، ولكن العرب تصدوا لهم في كافة المناطق،

---

(٦٦) موسوعة ويكبديا الحرة.

(٦٧) حسن البدري : الحرب في أرض السلام، ص ص١٥٧ – ١٥٩.

(٦٨) عبدالله التل : ص٢٧٤ ؛ محمد قاسم، التاريخ الحديث والمعاصر، ص٣٩٤.

وردوهم على أعقابهم .

وكرر اليهود الهجوم مرات عديدة حتى الصباح، ولكن تصدى لهم المدافعون عن المدينة من القوات العربية وأهل المدينة، كما ساهمت القوات المصرية في جنوب القدس في قصف الأحياء اليهودية في القدس الجديدة، لتخفيف ضغطهم على القدس القديمة، حتى انسحب اليهود تاركين وراءهم ٢٢٥ قتيلاً وعشرات الجرحى، في حين استشهد من العرب ٢٣ شهيداً من الجيش والمدنيين، وما يقرب من خمسين جريحاً (٦٩).

وقد كشف هذا الهجوم عن مقدرة اليهود الحربية، وما وصل إليهم من معدات حربية ثقيلة لم تكن موجودة من قبل، مما يؤكد عدم احترامهم للهدنة وكافة المواثيق الدولية. وسلمت المدينة من احتلال اليهود لها في هذه المرحلة من الصراع بين العرب واليهود.

القدس في الهدنة الثانية :

تدخل مجلس الأمن وقرر فرض هدنة ثانية بين العرب وإسرائيل، وقد قبل الطرفان الهدنة التي بدأ سريانها في القدس، اعتباراً من الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والأربعين، من صباح السبت ٧/١٧، وفي بقية أنحاء فلسطين اعتباراً من الساعة الخامسة بعد ظهر الأحد ١٨/٧/ ١٩٤٨م .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبرغم موافقة اليهود على الهدنة، إلا أنهم كانوا يتحينون الفرصة المناسبة لاحتلال القدس القديمة دون أي اعتبار للهدنة، ولذلك استبدلوا بقائدهم في القدس ديفيد شالتيل، لفشله أكثر من مرة في هجومه على القدس قائدا جديدا هو موشيه ديان، وكلفوه بالإعداد لهجوم جديد لاحتلال القدس .

وبدأ ذلك الهجوم بالفعل في فجر يوم ١٩٤٨/٨/١٦م (٧٠) وقاموا بقصف شديد بقنابل الهاون والمدافع الثقيلة، غير عابئين بالهدنة، أو وجود مراقبين دوليين، وكانت القوات العربية على أتم استعداد لصد الهجوم لعلمهم بغدر اليهود،وعدم احترامهم للاتفاقيات، فكانوا على أهبة الاستعداد، وانتظروا تقدم مشاة اليهود للفتك بهم،

---

(٦٩) عبدالوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث، ص٤٨؛ عبدالله التل، ص٢٨١.

(٧٠) يوافق هذا اليوم – كما يزعم اليهود – عيد خراب هيكل سليمان، وهذا العيد يذكرهم بماضيهم المؤلم، ويدفعهم إلى التضحية والانتقام في سبيل مجدهم الغابر ؛ محمد حسين هيكل، العروش والجيوش، ص١٠١.

وسلطوا عليهم نيران رشاشاتهم، فارتدوا خاسرين بعد أن قتل الكثير منهم .

ولكن القائد الجديد، موشيه ديان، لم ييأس من إخفاق هجومه على الجهات الأمامية للقدس، فعاود الكرة مساء الثلاثاء ٨/١٧ بقصف منطقة النبي داوود، شمال القدس، قصفاً شديداً، وكذلك مواقع القوات المصرية جنوب القدس، واستطاع اليهود احتلال جبل المكبر، والسيطرة على مواقع المصريين والأردنيين به، وكذلك دار الحكومة التي يقطنها مندوبوا الصليب الأحمر الدولي .

وقد ردت القوات العربية، ومعها المناضلون من قوات الجهاد المقدس، بهجوم مضاد في الساعة الرابعة فجر يوم ٨/١٨، وقصفت تجمعات اليهود، ومعسكراتهم، كما قامت القوات المصرية بقصف الأحياء اليهودية التي جاء منها الهجوم، فتشتت شمل اليهود، وفروا مذعورين ليعتصموا بالكلية العربية، ووقع بعضهم أسرى، واستردت القوات المصرية والأردنية مواقعها في الثانية صباحاً .

وخسر اليهود في هذا الهجوم الفاشل أكثر من خمسين قتيلاً، من بينهم اثنان من كبار ضباط الهاجناه، باعتراف الإذاعة العبرية في صباح ٨/٢٢، وغنمت القوات العربية كميات كبيرة من الأسلحة، بينما كان شهداء العرب عشرة فقط [٧١].

وقد شهد الوسيط الدولي الكونت برنادوت بخرق اليهود للهدنة في برقيته إلى مجلس الأمن بتاريخ ١٩٤٨/٩/٥م، ثم دعا إلى عقد اجتماع بين المراقبين الدوليين ومندوبي الطرفين في يوم ١٩٤٨/٩/٢٦م تم الاتفاق فيه على جعل جبل المكبر منطقة دولية، ومنع دخول أي قوات مسلحة إليه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبرغم ما قام به برنادوت في تأييد المكاسب التي حصل عليها اليهود بالقوة، وفرض الأمر الواقع على العرب، إلا أن ذلك لم يكف اليهود منه، ورأوا أنه إذا ما شهد يوماً ما شهادة حق حول قيامهم بخرق هدنة، أو عدم احترام اتفاقية ما، فإنه يصبح معادياً لهم، ولذلك قاموا باغتياله يوم ١٩٤٨/٩/١٧م أثناء تجواله في الأحياء اليهودية بالقدس، ومما يدل على تدبيرهم للمؤامرة : أنهم لم يصيبوا رئيس المراقبين الأمريكي الكولونيل بيجلي الذي كان مع برنادوت في نفس السيارة [٧٢].

بالطبع تظاهرت السلطات اليهودية بالأسف العميق، واستنكرت الجريمة، ووعدت بإلقاء القبض على الجناة، ناسية أن هذه العصابات تعمل بأمرها، وتحت سيطرتها، إلا أنها تتبرأ منهم في كل جريمة يقومون بها .

واكتفت الدول الغربية بالأسف، حتى إن السويد نفسها، الذي ينتمي إليها

---

(٧١) عبدالله التل : ص٣٢٨ ؛ محمد قاسم، التاريخ الحديث والمعاصر، ص٣٩٤.

(٧٢) صالح مسعود : جهاد شعب فلسطين، ص٣١٢.

برنادوت، اعترفت بإسرائيل بعد هذه الحادثة بمدة قليلة، ولم تطالب بدم مواطنها، وهنا نتساءل : ماذا لو أن العرب هم الذين قاموا بهذا الحادث ؟

وكان برنادوت قد وضع مقترحات، قبل اغتياله، لحل مشكلة فلسطين نشرت بعد وفاته، وكان منها : وضع القدس تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة، وإنشاء إدارة دولية للمدينة تكفل الحرية للجميع . وقد رفضها اليهود لأنهم يحلمون بجعل القدس عاصمة لهم.

وفي نفس الوقت كثف اليهود اتصالاتهم بعملائهم من الضباط الإنجليز في الجيش الأردني، لإضعاف القوات العربية في القدس، ونجح كبير عملائهم وهو جلوب باشا قائد الجيش الأردني؛ في إقناع الملك عبدالله بإبعاد قائد القوات العربية في القدس عبدالله التل عن قيادتهم، وتعيينه في منصف الحاكم العسكري للقدس، وهو تغيير في ظاهره ترقية للتل، ولكنه في حقيقة الأمر إضعاف للجيش العربي، لأن الحاكم العسكري مهمته الإشراف على الأمور المدنية والأهالي، ولا سلطة له على القوات العربية، بل وألحق جلوب الكتيبة السادسة التي دافعت عن القدس أمام هجمات اليهود إلى قيادة اللواء الأول وقائده جولدي إنجليزي، لتعمل بإمرة الإنجليز(٧٣).

كما سعى جلوب لإقناع الملك بحل قوات الجهاد المقدس الفلسطينية، التي تساعد القوات الأردنية في الدفاع عن القدس، وسحب أسلحتهم، ونجح في ذلك إلى حد ما، وطارد بعض زعمائها، وأمر بالقبض عليهم، وبذلك وجه جهود القوات الأردنية إلى محاربة إخوانهم الفلسطينيين، بدلاً من مطاردة اليهود والهجوم عليهم(٧٤).

وظلت المناوشات بين العرب واليهود في القدس حتى ٣٠ نوفمبر ١٩٤٨م حيث تم عقد اجتماع بين المراقبين الدوليين ومندوبين عن الجيش العربي واليهودي، للاتفاق على إيقاف الرمي في القدس بناءاً على أوامر مجلس الأمن، وتم في هذا

---

(٧٣) عبدالرحمن الرافعي : في أعقاب الثورة المصرية، ص ص٢٦٠ – ٢٦٢؛ أحمد التل، ص٣٣٨.

(٧٤) أرسل جلوب لواءاً كاملاً مكوناً من ثلاث كتائب لمهاجمة قوات الجهاد المقدسي في قرية بئر الزيت برام الله ومصادرة أسلحتها، وانسحبت هذه القوات إلى بيت لحم لتكون في حماية القوات المصرية، وعندما دخلت القوات الأردنية القرية لم تجد بها أحداً، ومن الغرائب أن جلوب لم يرسل يوماً لواءاً كاملاً لمحاربة اليهود، وإنما أرسله لمحاربة العرب، عبدالله التل، ص٣٦٦.

الاجتماع أيضاً وضع خرائط توضح مناطق كل طرف، والمناطق الدولية.

وأقيمت احتفالات أول عيد ميلاد للسيد المسيح بعد انتهاء الانتداب البريطاني، في ظل الهدنة واتفاق وقف إطلاق النار، وأشرف عليها الحاكم العسكري العربي الذي تقع المقدسات المسيحية تحت سلطانه، مما كان له أحسن الأثر عند الطوائف المسيحية على اختلاف مذاهبها (٧٥).

وبدأت بعد ذلك الاتصالات السرية بين زعماء اليهود والملك عبدالله، للاتفاق على هدنة دائمة بشأن القدس بصفة خاصة، وبين الأردن وإسرائيل بصفة عامة (٧٦).

وقد اقترحت الأردن على إسرائيل أن تردّ الأحياء العربية في القدس الجديدة، كدليل على رغبتهم بالتفاهم، ولكن الجانب اليهودي رفض ذلك، وطلب ترك مصير القدس القديمة والجديدة لمفاوضات مباشرة مع الملك، فرد الملك عبدالله عليهم بمقترح آخر وهو : أن تكون القدس القديمة للعرب والجديدة لليهود، وتترك باقي المسائل للمباحثات، وهكذا بدأت التنازلات العربية : وبرغم هذا رفض اليهود هذا المقترح أيضاً بقولهم: إن مسألة القدس دقيقة جداً، وتسبب إزعاجاً كبيراً لحكومة تل أبيب، ونحن نلاقي مصاعب من الشعب اليهودي - الذي يعتبر القدس مدينة اليهود - أكثر من صعوبات حكومة جلالة الملك، لذلك نترك هذه المسألة الآن، خاصة وأن الأحياء العربية أصبحت مزدحمة باللاجئين اليهود (٧٧).

وهكذا كشف اليهود صراحة عن نيتهم في السيطرة على القدس كلها، وأعلنوا أنهم لن يفرطوا فيها، في الوقت الذي يرون تفريط العرب في أراضيهم وعدم إستماتتهم في الحفاظ على القدس كما يفعل اليهود .

وقد لمس اليهود، أثناء مفاوضاتهم مع الجانب الأردني، مدى ضعف الجانب

---

(٧٥) يحتفل المسيحيون الغربيون الكاثوليك بعيد الميلاد يوم ٤٨/١٢/٢٤، والشرقيون الأرثوذكس يوم ٧ يناير، والأرمن يوم ١٨ يناير.

(٧٦) ذكر بعض المؤرخين أن الاتصالات بين اليهود والملك عبدالله بدأت منذ فترة طويلة، وكان بينهم اتفاق على قرار التقسيم الذي أقرته الأمم المتحدة، ولذلك لم تهاجم القوات الأردنية أي أراضٍ فلسطينية تخص إسرائيل في قرار التقسيم؛ أكرم محمد عدوان، مشروع تقسيم فلسطين في تقرير لجنة بيل الملكية، ص ص٢٩ - ٣٥.

(٧٧) عبد الله التل : ص٤٥٢؛ علي أبو الحسن، دور بريطانيا في تهويد فلسطين، ص٤١٥.

العربي [٧٨]، ولذلك قاموا في ١٩٤٩/١/٢٣م بإطلاق النار على المراكز العربية في دير أبي طور جنوب القدس، وردت القوات العربية عليهم، لكنها لم تستمر لعدم وجود ذخيرة لديها تكفي ساعة واحدة .

وزادت نبرة اليهود في التمسك بالقدس، فقد صرح موشيه دايان في ٤٩/١/٢٣ بقوله: " إن القدس تربطها بإسرائيل روابط روحية، فهي هدف يهود العالم منذ آلاف السنين، بينما لا تربطها بالعرب روابط قوية، وإسرائيل مستعدة للمحافظة على جميع الأماكن المقدسة بما في ذلك مقدسات المسلمين، كانت القدس لنا وستبقى لنا".

وبذلك تغيرت لهجة اليهود بعد أن أفصح الجانب الأردني عن ضعفه، خاصة وأن كلا من الجانبين كان يستعد لمفاوضات، ردوس لعقد هدنة دائمة بين الطرفين، فأراد اليهود توضيح موقفهم قبل الذهاب إلى المفاوضات، وكان يجب على الجانب الأردني أيضاً ذلك، ولكن الملك عبدالله ساعد اليهود على تشددهم، بتصريحه لجريدة التايمز في ١٩٤٩/٢/٢٢م بشأن القدس فقال: ليس لي أي مطلب في القدس الجديدة، ولكني لا أوافق على منح القدس القديمة لليهود، أو جعلها دولية، وأنا لا أرى سبباً لجعل القدس دولية، وإن شرق الأردن مستعدة لضمان حرية الوصول إليها".

وكانت الحنكة السياسية تقتضي أن يطالب الملك بالأحياء العربية في القدس الجديدة، حتى يشغل اليهود عن أي مطامع في القدس الجديدة، ولكنه تطوع وتنازل عن هذه الأحياء ليتفرغ اليهود للمطالبة ببعض مناطق القدس القديمة، إن لم تكن كلها.

وسافر الوفد الأردني إلى ردوس يوم ٤٩/٢/٢٨، برئاسة أحمد صدقي الجندي، وكله أمل في توقيع الهدنة خلال يومين أو ثلاثة، حسب التفاهمات السابقة بين الملك واليهود، ظناً منه أن اليهود يحترمون ما اتفقوا عليه، ولكنه فوجئ في ردوس بمطالب يهودية كأساس لقبول الهدنة وهي:

---

(٧٨) حدث اجتماع بين الملك عبدالله واثنين من زعماء اليهود هما ساسون وموشيه دايان، في قصره يوم١٩٤٩/١/٢٦م، وفيه قال الملك كاشفاً أوراقه لليهود: "أنت تعلم يا ساسون أننا لم نحاربكم، ولم نعتد على ما خصص لكم، وأنا الآن لا أصغي لنصائح حلفائي الإنجليز فهم أصدقاؤكم المخلصون، وقد أحجموا عن مساعدتنا، ولم يبعثوا لنا خرطوشة واحدة منذ نشوب الاضطرابات، وكانت تنقصنا الذخيرة ولا زال..." عبدالله التل: ص٤٦٠؛ موسوعة ويكيديا الحرة.

١- حرية المرور بطريق اللطرون - القدس - تل أبيب .
٢- السماح لهم باستعمال سكة حديد تل أبيب - القدس .
٣- حرية المرور لمستشفى هداسا والجامعة العبرية في الجانب العربي .
٤- إزالة استحكامات جبل المكبر التي شيدها الجيش العربي أثناء الهدنة المؤقتة.
٥- حرية المرور بحائط المبكى .

وأسقط في يد الوفد الأردني، وطلب الانتظار حتى يستفسر من عمان، وظلت المفاوضات في أخذ ورد حتى يوم ١٩٤٩/٤/٣م، حيث تم التوقيع على الهدنة الدائمة، ونجحت إسرائيل أثناء المفاوضات باحتلال النقب والوصول إلى خليج العقبة بعد انسحاب القوات الأردنية منها، واحتلال منطقة المثلث بعد تآمر الملك عبدالله واليهود على الجيش العراقي الذي كان مرابطاً بها (٧٩).

وتضمنت اتفاقية ردوس إهداراً للحق العربي في القدس، مثل غيرها من المناطق العربية، وتم بموجبها تسليم اليهود قسماً كبيراً من الأراضي العربية جنوب القدس أهمها : أراضي قرية صور باهر واستحكاماتها الأمامية، وثلاثة أرباع جبل المكبر، ونصف قرية بيت .... التي تعتبر خط الدفاع العربي جنوب القدس، وكذلك تسلموا خط سكة حديد القدس - تل أبيب دون مقابل (٨٠).

وهكذا حصل اليهود على أراضي من القدس لم تطؤها أقدامهم، وبقيت القدس القديمة في يد العرب، حتى إشعار آخر يحقق فيه اليهود حلمهم بالسيطرة عليها، وقد تحقق بالفعل في يونيه ١٩٦٧م، ومازالوا حتى الآن بها بعد أن جعلوها عاصمة لدولتهم، ويسعون إلى تهويدها، وطمس معالمها العربية، بل والسعي إلى هدم المسجد الأقصى لبناء الهيكل المزعوم، فماذا نحن فاعلون ؟؟

---

(٧٩) وثائق المقاومة الفلسطينية : ص ص٣٢٠ - ٣٢٣، وانظر: محمد حسين هيكل، العروش والجيوش، ص ص١٥٩ - ١٦٢.

(٨٠) موسوعة ويكيبديا الحرة، وانظر: أحمد يوسف التل، معركة القدس، ص٤٥٣.

المصـــادر والمراجـــع

١- د. إبراهيم شكيب : حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م، رؤية مصرية، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى ١٩٨٦م .

٢- أحمد يوسف التل : عبدالله التل بطل معركة القدس، دار الفرقان، سنة ١٩٩٩م.

٣- إسماعيل أحمد ياغي : الجذور التاريخية للقضية الفلسطينية، دار المريخ، القاهرة.

٤- أكرم محمد عدوان : مشروع تقسيم فلسطين في تقرير لجنة بيل الملكية، سنة ١٩٣٧م، بحث منشور بمجلة الجامعة الإسلامية بغزة، المجلد العاشر، العدد الأول سنة ٢٠٠٢م

٥- أنور الجندي : العالم الإسلامي ، الكتاب اللبناني ، ط ١، سنة ١٩٧٩م .

٦- حسن البدري : الحرب في أرض السلام (دار الوطن العربي – القاهرة ١٩٧٦م).

٧- حسن الخولي : سياسة الاستعمار ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، د ت .

٨- حسين شريف : المفهوم السياسي والاجتماعي لليهود عبر التاريخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٥م .

٩- سعد بدير الحلواني : العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن ١٩م، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٥م .

١٠- سعد بدير الحلواني : تاريخ كل العرب الحديث والمعاصر، دار البشر للثقافة والعلوم، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

١١- صالح مسعود : جهاد شعب فلسطين .

١٢- عبدالله التل : كارثة فلسطين، القاهرة ١٩٥٩م .

١٣- عبدالحميد الثاني (السلطان) : مذكرات السلطان عبدالحميد، ترجمة محمد حرب عبدالحميد، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٧٨م .

١٤- عبدالرحمن الرافعي : في أعقاب الثورة المصرية، الجزء الثالث، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م .

١٥- عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار الكتاب الجامعي، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٩٠م .

١٦- عبدالوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٢م .

١٧- عفيف البرزي : التحرير في قفص المستعمرين، دمشق، سنة ١٩٨٨م .

١٨- علي أبو الحسن : دور بريطانيا في تهويد فلسطين، دار الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م .

١٩- محمد حسنين هيكل : العروش والجيوش ، القاهرة ، سنة ١٩٥٩م .

٢٠- أحمد قاسم : التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة ، ط ٢ ، سنة ١٩٨٦م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢١- مذكرات مفتي فلسطين : جريدة أخبار اليوم المصرية، الأعداد (١٠ - ١٢) بتاريخ ١٩٥٧/١٠/٥م .
٢٢- مذكرات هرتزل : من شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) .
٢٣- موسوعة ويكبيديا الحرة .
٢٤- وائل عبيد : تاريخ العرب الحديث ، الرياض ، سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، د ت.
٢٥- وثائق المقاومة الفلسطينية : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ١٩٦٨م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com